

## قضايانا

# القضية الشيعية

## الثورة البريئة والمؤامرة الدنيئة

بقلم : غالب حسن الشابندر

لم تعد حقائق الحياة تكبت غزيرتها لمن يريد أن يستلهم روحها ومعناها ، ولم تعد قوانين الوجود مغلقة لمن يريد أن يكشفها ويستثمرها ، فالأمة التي تحترم قدرها يفتح الكون لها أبوابه الواسعة ، ويتدلل بين أيديها ، ينتظر إشارة العطاء والبذل .

إن الوجود صراع ، والصراع علم وقوانين ، والأمة التي تفقه ذلك العلم وتلك القوانين تفوز بالقدر ، لأن القدر ليست قوة عمياء ، وإنما هو روح ، يلقي أمانته في أحضان الذي يفهمه ويعيه ويحترمه .

إن أعظم انتاج للفكر البشري عندما قرر أن الطبيعة لا تخضع للوحي ، وذلك بارشاد الوحي ذاته ، وعندما أكد أن تغيير التاريخ إرادة انسانية يباركها الله ، وإن الجمود والانتظار لون من الخيال المريض الذي يقضي على صاحبه . . ان أعظم انتاج للفكر البشري عندما سن ملحمة الصراع على أساس المبادرة ، وليس على أساس الصدفة أو الحظ ، انه القرار المبارك الذي أهمله الله للانسان ليكون سيد ذاته ومدير روحه وقائد مصيره . .

ان المستقبل غير مصنوع ، انه غيب ، غيب في علم الله تعالى ، ولكنه يتكيف لإرادة الانسان والأمة ، ومن هنا كان البلاء أعظم عبادة يتوجه بها العبد الى ربه . . ان البلاء مقولة الدين الحي الذي يعكس حقيقة الحرية وجوهر الضرورة المحكومة بالحرية .

ان المستقبل غير مصنوع ، انه مجرد علم مكنون في صفائح الغيب ، ولكنه يسعى حثيثاً ليكون تلك اللوحة التي يرسمها الانسان بريشة القصد ، القصد الحي ، القصد الحديدي الذي لا يلين . نسوق هذه المقدمة لنسأل عن مصيرنا الذي يتربص بنا أهوال المجهول ، نسوقها ونحن نرى شيعتنا ، أنصار أهل البيت مجرد إرادة حامية ، تتحرك في هيب النار ، ولكن من غير ان تنتظم هذه الادارة بسياسات العلم المدروس والفكر المخدوم ، ان الارادة التي تحدثنا عنها في البداية هي الارادة

المحفوفة بأرقام الاحتمال وانعكاسات التقدير والتصويب ، فيما ارادة الشيعة مجرد فعل ، فعل يريد ان يعبر عن الذات بشكل غامض ومبهم ومشوش . .

ان الثورات الشيعية منذ (زيد بن علي) وحتى الأخيرة منها ، انما هي عواطف مسجورة ، ولذلك تهب بسرعة وتخفت بسرعة .

انها الثورات البريئة . .

انها الثورات البريئة . .

انها الثورات البريئة . .

ترى متى تحول البراءة الساذجة الى براءة واعية ، بقي ذاتها وذات اصحابها مفهوم الدم الضائع ؟ ترى متى ؟! متى يا ناس ؟!

ثورة انصار أهل البيت الأخيرة تعيد الى الأذهان ثورة زيد بن علي وحسين فخ وابن طباطبا . . الفارق غياب القائد ولكن ذات الطابع ، الثورة التي تعبر عن مكبوت عاطفي متراكم ، ولم تعبر عن براعة الخطة ولا براعة الهدف ولا براعة الوسيلة ، ثورة الحب البريء لا أكثر ولا أقل . .

اننا مدعوون ان ننطلق من أجواء هذه الثورة لدراسة أوضاعنا من جديد ، كل أوضاعنا . ندرسها بجرأة تتجاوز تخوم المجاملات التي قتلنا ودمرت كياننا ، دراسة قاسية حارة ، تضع النقاط على الحروف ، وتشخص الورم بلا أي تردد عن استخدام الصعقة الكهربائية ، وبلا أي تردد ن نعرّف بجريرتنا على أعلى المستويات . . ولكن ما هو المدخل ؟!

ان رصد افرازات القضية الأخيرة تشكل أحسن مصفوفة من المداخل ، للوصول الى صلب قضاياها ومشاكلنا . . ان هذه الافرازات كشفت عن واقعنا وقوتنا وعلاقاتنا وموقف العالم منا . . ان هذه الافرازات كانت صعقة وجدانية لنا جميعاً ، وإذا لم تنوعها ونستوعبها ، فإن مزيداً من البلاء سوف ينصب على ابنائنا زجيلنا . .

ان محنة الشيعة الحقيقية قد بدأت الآن ، اقصد المحنة المعاصرة في تاريخ هذه الطائفة المؤمنة الممتحنة . ويخطيء الإصاابة والتهديف الذي يعتقد ان محنتنا وصلت الى ذروتها . ان المجزرة في عراق علي والحسين بداية لمثيلتها في كل المناطق الشيعية . ولكن ضمن خطة مرسومة تعتمد اسلوب التدرج الحذر ، واقتناص الفرص .

ان الشيعة اليوم موضوع افناء ، يتطلب قلع الجذور وزهق الجوهر ، أي تماماً على العكس من الصهاينة ، حيث اجتمع كل العالم على دعمهم وحمايتهم ، وتوفير كل مستلزمات وجودهم واستمرارهم .

ان الشيعة اليوم موضوع انتفاء وليس علاج . فهم ليسوا مشكلة في نظر الآخر ، وانما خطر داهم . ولذا لا بد من القضاء عليه بكنتم أنفاسه وتقطيع أوداجه ، وإحالة الى جثة هامدة . والسؤال - المدخل - السؤال - البداية . . ما هي افرازات المحنة الأخيرة . .

أولاً : ان العالم كله صدنا ، يخترن في ضميره وروحه شعباً مفزعاً اسمه وعنوانه الشيعة ، حتى تلك الأحزاب التي تدعي الاسلامية الأصولية فقد كشفت عن حقد تاريخي ديني ، ولم تشفع للشيعة كل جهودهم لخدمة الاسلام وطرد الاستعمار عن طائفية مقيتة مجرمة على حساب أبسط القواعد

الاسلامية الشرعية . ان هذه المحنة أبانت بشكل واضح . اننا (أمة) مرصودة بمنظور حاقد ، استعماريًا وطائفيًا . استعماريًا على صعيد الدول الكبرى والحكومات العملية ، وطائفيًا على صعيد حركات وشعوب ، غذتها أحقاد الماضي ، حتى تشربت عداً غريزيًا ضد الشيعة ، وان مقولة (الاسلام الأصولي) الذي يعني الجذرية في التفكير مجرد هراء ، هراء يفزع في جو فارغ وسموم .

ثانيًا : ان الآخر ، سواء كان غرباً أو حزباً أو حكومة . . هذا الآخر ، لا يفرق بين شيعي ملتزم أو غير ملتزم ، فهو يرى في المسلم الشيعي آلة نفي وجودي ، بل مضمون نفي ، ولذلك يتعامل مع الشيعة على أساس الحسم بين (نعم) و(لا) ولا يترك أي مجال لحق الحياة كي يلعب دوره مع هذه الجماعة ، ولو في حدود دنيا . ان الآخر يتعامل مع المسلم الشيعي على قاعدة الانتماء والهوية ، على قاعدة الدائرة الكبرى التي تبدأ من الولادة وتنتهي بالموت .

ثالثًا : ان علاقائنا الشيعية واهية ، ضعيفة ، متدهورة ، تقوم على الهشاشة من العاطفة ، والتداعي من المواقف ، وليس على وحدة التكوين ، ولا على رصيد المائة من تاريخية هذا الفكر وصيرورة جماعته عبر التاريخ !! إن هذا الانفصال العجيب بين العلاقة وكيونة الجماعة ، خلال مئات السنين ، يشكل كارثة رهيبية ، ويصدم كل مفكر حر ، لأن طبيعة الحياة ترفضه ، ولست أدري كيف وجد الاستثناء في هذا المجال دوره الفاعل ؟ ان العلاقة ينبغي ان تتشدد وتقوى عبر التاريخ ، فيما هي في وسطنا تضعف وتهوى ؟!

رابعًا : ان العالم - كل العالم - لا يلتفت الى هذه الأمة مهما أصابها من نكد ، ومهما تداعت عليها من مصائب الحياة أو القدر ، لأنها أمة مطلوبة للفناء . ومطلوبة (للقضاء) العالمي الظالم . خامسًا : ان ايران مجرد (دولة) ، تتعامل مع العالم وفق قوانين السياسة التقليدية ، ولا يهملها مصير الشيعة في العالم ، والاعتماد عليها يعني تسجيل موعد محدد من الانتحار الحتمي المؤكد . ان ايران (سياسة) وليست مفاهيم وأفكار ، وهي تفكر داخل نطاقها الجغرافي ، وأفكار قادتها لا تتعدى حدود البناء الذاتي لكيانها . وهي على حق في هذه الفلسفة لأنها دولة .

سادسًا : ان الحركة الاسلامية الأصولية السائرة على خط أهل البيت فشلت وأخفقت في أبسط مهماتها ، ألا وهي اثبات أحقيتها وزيف نظام الحكم في العراق ، وأكدت التجربة المرة الأخيرة ان هذه الحركة كانت سادرة في وهم المطلق . . اثبات أحقيتها لآخواتها على الخط المغاير ، فقد تنكرت هذه الوجودات لنا ولم تعط أي أهمية لجهادنا وجهودنا للدفاع عنها ، بل لتكريس وجودها الكياني والفكري ، فمن المعلوم ان أكثر هذه الحركات تسلح بفكر الشهيد الصدر ومطهري وشريعتي لمواجهة الخصم ، ولكنها تنكرت للأمة التي ينتمي إليها هؤلاء الأفاضل ، بل أعانت صدام وأميركا على ذبح أبناءها البررة .

هذه هي أبرز الحقائق التي تمخضت عنها التجربة الشاقة الأخيرة ، وهي تشكل نسيجاً معرفياً مهماً لمعالجة مشاكلنا أو قضيتنا . .

### جهة الخطاب

أوجه الحديث الى فئتين من الناس ، لعلمي وتصوري أن مرتكز الوجود وقاعدته تعتمد عليها بالذات .

الأولى : الأحزاب الاسلامية الأصولية السائرة على خط أهل البيت . ان هذه الأحزاب كشفت عن بلادة سياسية ، لقد كلفت الشيعة والتشيع خسائر فادحة على الأصدقاء السياسية والأمنية ، بل على صعيد الوجود الحياتي والكياني .

ان هذه الأحزاب كانت ضحية الأفق العام ، ضحية المعارف الكلية الثابتة ، فهي لا تعي ان الحياة تفاصيل وان التاريخ كتل متراكمة من العواطف والجزئيات والمواقف . لقد تجاهلوا الطاقة الذاتية لقاعدتهم الكيانية ، تجاهلوا ان المجتمع ينتج ذاته عبر صيرورته التاريخية ، لقد توجهوا صوب الأفق الثابت ، وغرسوا رماحهم في وهم الإطار الذهبي . . تجاهلوا المضمون الحقيقي وراحوا يستلهمون الخيال ، واستمروا على هذا المتوال منذ زمن ليس بالقصير ، وذلك رغم الطعنات التي توالى عليهم . وآخرها طعنة حركة النهضة والانقاذ والايخوان وفلول العصابات الفلسطينية . . ان هذه الحركات موهومة ، ومصدر وهما هو العاطفة المجردة عن كل بعد علمي . واعترف ان هذه الغيبوبة لها تاريخ يمتد الى أوائل القرن العشرين ، حيث تحسدت بكل وضوح في موقف الشيعة من الحكم واستلامه في العراق وسورية ولبنان . ولكن إذا كانت الغيبوبة السابقة تستند الى الخوف وبعض المبررات التي يقولون عنها (شرعية) . فإن غيبوبة الحركات المعاصرة مصدرها العواطف الساذجة وقوة الضمير المخدر بأوهام (الاسلام) النقي والأصولي كما يعبر أصحابه .

الثانية : العلماء الأعلام الذين يشكلون نقطة الوسط بين عموم الناس والمرجعية ، أعني الذين يمتلكون قوة الكلمة وطاعة الإشارة لدى الطرفين . فهم مرتكز الوجود ، ولكن للأسف الشديد ، ان هؤلاء مزقوا طاقتهم في الالتفاف على الذات الأنية الفردانية الشخصية . ان كل واحد من هؤلاء (الأعلام) عبارة عن مشروع قائم بذاته ، ويسعى ان يكيف كل الوجود الشيعي لمركزيته الذاتية ، الشخصية ، الفردانية ، ويرفض ان يكون عنصراً مكملاً في الجسم الشيعي ، وانما يحاول ان يتحول بنفسه الى الجسم كله .

الأمر الذي يجعل من كل (عالم) مشكلة لها ذاتها المحملة والمشحونة بعشرات المشاكل والتبعات والظروف المعاكسة : ان فقدان التنسيق الكلي بين هذه «المصفوفة» من العلماء احالها الى وجود متناقض ، كل نقيض يسعى ان يستفرد بالحياة .

### النقاط على الحروف

إن أي علاج للقضية الشيعية في العالم لا يحوز على أي درجة من درجات النجاح إذا لم نعمل على الفصل المصيري بين الشيعة وإيران ، فالمفهوم السائد عالمياً هو القرن الأكيد بين كل شيعي من جهة وإيران من جهة أخرى ، وبذلك يتحمل الشيعي كل ملابسات إيران كدولة وشعب ومضير ، لقد أصبح الشيعة رهينة إيران فيها العكس هو الذي يجب أن يكون . ولكن ما معنى هذا الفصل ؟! انه الفصل السياسي ، أقصد ان يكون هناك مساراً شيعياً على الصعيد السلوكي السياسي بعيداً عن طموحات إيران التوجيهية . ولا ترتبط في إيران كمسيرة لها غاياتها وأهدافها والحقيقة ان هذا الفصل طبيعي ومنطقي . وذلك ما دامت إيران دولة ، وتفكر بمنطق الدولة الذي ينحصر في كيانها ، ومن حق إيران ان تنتهج مثل هذه السياسة ، لأنها تسعى الى تكريس ذاتها ، وذلك كأى دولة في العالم ، مهما بلغ بها الاتجاه العقائدي من جذرية وعالمية ، ولماذا أنافح عن هذه القضية ، وقد أصبحت إحدى

مرتكزات السياسة الايرانية ، فها هي ايران تنخرط في تيار التقليد السياسي الدولي ، وتتخلى بشكل معلن عن موضوع (الأدلة) وموضوع تصدير الثورة ، وما هو على غرارها من سنن المنطق الخميني الصارم ، وتجربة الشيعة في العراق الأخيرة ، كشفت عن هذه الفلسفة بوضوح أكثر من اللازم . ان مغالطة هذا الواقع من قبل البعض ، محاولة مقصودة لضرب الشيعة . . كل الشيعة .

ان الارتباط السياسي في ايران يضعف الذات والموضوع ، ويقيد الطاقات ويكبل الأيدي ويزهق الأرواح ، خاصة وأن رفسنجاني اتخذ منهاجاً (اسلامياً / قومياً / وطنياً) وهو يدعو صراحة الى تأسيس ايران جديدة ، ولكن ضمن المعادلة الدولية السائدة .

ان الفصل السياسي بين ايران والشيعة مسألة في غاية الأهمية ويجب أن تكون عبر تصريحات الأحزاب والعلماء والجهاهير الشيعية في كل مكان . ان هذا الفصل يريح ايران ويريح الشيعة معاً . يؤكد أنه فصل سياسي مصري .

ولكن ما هي القضية الشيعية اليوم ؟! انه سؤال لا بد من الإجابة عليه لكي نعرف واجبنا . ان القضية تتركز بمحور رئيسي واحد ، كيف نحافظ على كياننا المادي والفكري ، البشري والانهائي . . هذه هي القضية وهذا هو الجوهر ، ونحن نقول ذلك لأن الشيعة معرضون لمجازر جسدية بشرية ولمسخ عقيدي فكري ، وقد تكالبت كل قوى الشر على تحقيق هذا الهدف الخبيث ، ان اولئك الذين يفكرون بتحرير القدس او ايصال صوت الاسلام الى الكرملين والبيت الأبيض أو استلام الحكم في أفغانستان والعراق والبحرين . . هؤلاء محاطون بأسوار من وهم بالذات ، والخيال المريض يسيطر على كل ذرة من ذرات كيانه المادي والروحي . . ان دفع الخطر عن الذات بداية كل مشروع ، وإذا لم ندفع هذا الخطر ، تتكاثر الأخطار على طريقة المتواليه الهندسية ، وتتواصل مضاعفات الضغوط حتى تحيل الوجود المبارك لحطام مفتت وأنا أعلم أن هذا الرأي يثير حفيظة بعض الأحزاب الأصولية (السائرة على خط أهل البيت) لأن مسألة الحكم تبلورت في داخل ضمائرهم ودمائهم حتى تحولت الى مقولة مبدئية ، فيما هي حكم شرعي ، قيمته دون صيانة الذات بمساحات لا تقاس ، ولا يستطيع أي منا أن ينكر بأن خطر افناء الذات والموضوع موجود ، بل هو عمل قائم ، وليس من ريب ان الانتفاضة العراقية جذرت هذا العمل ، وأعطته مزيداً من الاهتمام في رؤية الأعداء . سواء كان هؤلاء الأعداء ملاحدة استعماريون ، أو مسلمون مؤمنون ، كما يقول الاسلام الأصولي .

إن أي حل للقضية الشيعية يجب ويستدعي اشراك طبقة (الانتلجست) الشيعية . وذلك من ذوي العقلية الادارية والاقتصادية والسياسية ، أي طبقة الشيعة ذات الاختصاصات العلمية المعاصرة ، ومن أكبر أخطاء المرجعية الدينية ، انها عزلت نفسها عن هذا الجو العلمي . ان الحلول التي يطرحها (الروحانيون) للقضية الشيعية لا يمكن ان ترتقي الى مستوى الخطورة التي تمثلها المحنة ، إذ هي تستند الى مقاييس ارسطوية في اكثر الاحيان ، وتعتمد تصورات الممكن والواجب والمستحيل ، انها تدخل اطار التصورات التأملية ، وذلك على عكس الأفق التجريبي العريض الذي طرحه المعلم الشهيد (الصدر) في كتابه المحنة ، ان اشراك طبقة الانتلجست في غاية الأهمية ، لأنهم هضموا روح العصر وأحاطوا بملابسات العالم . وعالم الدين يبقى الذروة في كل طرح ، لأنه ينير كل طرح بمبرراته ومسوغاته الشرعية ويحول دون انحرافه وسقوطه في دائرة الحرام . ان التعاون الوثيق بين الزبي الديني

المتفقه والدائرة العلمية الحديثة يشكل نقلة نوعية في حل مشاكلنا ، شريطة ان تحترم الاختصاصات وتقيم الاهتمامات .

### خريطة المؤامرة :

والسؤال المهم ايضاً .. ماهي خريطة المؤامرة؟! إن الغرب سوف يتعامل مع الشيعة وفق مبادئ مدرسة علم الاجتماع الاميركي المعروفة بالمدرسة البنائية ، وهي تؤكد ان أي كيان اجتماعي ، يبقى محافظاً على وجوده إذا استمرت بنياته على البقاء . ولذلك فإن القضاء على هذا الكيان يجب ان يبدأ برصد هذه البنيات وضربها بالصميم ، ولهذا سوف يتعامل مع كل وحدة شيعية بمنظار الوحدة البنائية المطلوبة للهدم أو الانهيار .

ان اميركا تسعى الى اخضاع ايران لمنطق الدولة المنخرطة في تيار السياسة التقليدية ، وقد نجح في ذلك ، وثورة الامام الخميني (قدس) تحولت الى تجربة شخصية في ضمير التاريخ ، فايران اليوم منسجمة الى حد كبير مع مبادئ الواقعية السياسية ، وربما في المستقبل تتحول الى نقطة ارتكاز بين الغرب والشيعة ، اي يحاول الغرب ان يضبط المسلمين الشيعة بواسطة ايران ، وذلك كما كانت السعودية ، ولا تزال - في بعض الأحيان - مع المسلمين الذين لا يسرون على خط اهل البيت . وأعتقد ان ايران سوف تستجيب لهذه الخطة ، ما دامت تحفظ وجودها أو تعطيتها وزناً دولياً . هذا مع ايران .. أما مع العراق فالمسألة واضحة جداً ، فاميركا تسعى جادة لأن تكسر شوكة المسلمين الشيعة في العراق ، وتعمل على احباط روح التطلع الحيوي لدى هذه الطائفة ، وتجبرها على الاعتراف بالعجز أمام القوة المعادية ، وربما تستدعي بعض الرموز لأن تكون لسان استغاثة !! .. وبذلك تطرح اميركا نفسها حامية الشيعة كما هو الحال مع الأخوة الأكراد .

ويترتب على ذلك ما حصل ويحصل في شمال العراق . وبكل ذلك سوف تسقط هيبة العالم الاسلامي الشيعي ، وتتكرر ارادة التاريخ . ويصبح هذا الوجود متطلعاً الى الكافر ليكون عضيدته في حق الحياة .. وللعلم والتاريخ ان ضرب الشيعة في العراق يعني قتل القلب والدماغ .. والخطر الأكبر :

في اطار كل هذه المعادلات المتداخلة .. ماهو الخطر الأكبر؟

إنه بكل بساطة تصفية المدرسة الخلافة .. مدرسة أهل البيت الفكرية والروحية .. لا أستبعد أبداً القيام بتصفيات جماعية هائلة لشيعة العراق ، ولكن القضاء على الهوية الفكرية لهذه الطائفة هو الخطر الأكبر لأنه مقدمة تغني عن كل الممارسات الدموية التي قد تعطي نتائج عكسية ، وربما ينبري أحد (العلماء) ليقول ان في البنى (اثنية) وتلك سذاجة وبلادة ، لسبب بسيط جداً ، ان هوية المسلمين الشيعة في ايران والعراق ارتبطت - في الأيام الأخيرة - بالفكر والروح والتاريخ ، فإذا طأطأت ، هذه البيئة ، رأسها ، وخضعت ارادتها لهيمنة الارادة النافرة ، سوف ينعكس ذلك بشكل مباشر على البنية الروحية للفكر الاسلامي الشيعي ، وقد يفرض معادلات غير أصيلة في عمق هذا الوجود المبارك . ان القرن المتجذر بين النهضة الاسلامية الشيعية السياسية الأخيرة والخلفية الفكرية يؤدي الى تردد في تماسك الفكر وقيامه إذا ارتكست النهضة السياسية ومن هنا تنفرز المهمة الكبيرة للعقل الاسلامي الشيعي ، انها الكفاح الجاد والمستमित للحفاظ على نضاعة وأصالة الفكر لهذه الطائفة .. وذلك رغم

الاندحار السياسي ، ورغم (العثرة) في تيار المعركة السياسية مع الغرب وكافة الأعداء . ان تفادي هذا الخطر ممكن لأن العلاقة السابقة ليست أزلية ، وإنما هي ضمن اطار القوانين التي لا تتمتع بالروح السرمدية . .

وأخيراً :

هذا هو الواقع . . هناك مؤامرة كبرى تواجه انصار اهل البيت ، مؤامرة تتمركز في المخ العقيدى عبر تحطيم وزعزعة الثقة بالنفس ، وأكبر ثقل في هذا الوجود ، يتمثل بالأحزاب والعلماء الوسط ، ولكن كلا العنصرين غير جاد في مواجهة الخطر بقدر ما هو جاد في كسب اكبر قدر ممكن من السمعة والثروة ، والمؤامرة سوف تأكل الجميع إذا لم تع هذه الأحزاب واولئك العلماء حجم المأساة .

## فيتو دولي على شيعة العراق

ما فتى الشيعة وبمختلف فصائلهم يعلنون كل يوم انهم لا ينوون الغاء بقية الفرقاء السياسيين ، وانهم لا ينوون الانفراد بالسلطة ومن ثم جعل الحكم في العراق اسلامياً ، مدركين تمام الادراك أبعاد الخارطة السياسية والمناخ الاقليمي والدولي الذي لا يسمح بمثل هذا التغيير في الخارطة السياسية التي رسمها الغرب للمنطقة . فإقامة حكومة اسلامية في العراق مقروءة المفردات سلفاً من قبل الغرب . والاسلاميون يدركون ذلك جيداً هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ان الاسلام بمرونته وسماحته لا يضيق ذرعاً بالبدائل التطبيقية للمسار السياسي الذي يفرضه الواقع فأحكام الاسلام ليست معلقة في فراغ بل هي عند جميع الفقهاء منصبة على موضوعاتها الخارجية بعد تشخصها في حيز الواقع مسيطرة هذا الواقع في جميع تغيراته . ومن هنا كانت العناوين الثانوية التي بدورها لها أحكام ثانوية تختلف مع أحكام ذلك الواقع قبل أن يتغير ، فالتعديل في اطروحات الاسلاميين السياسية لا يشكل أدنى تنازل في متبنياتهم الاسلامية بل يمثل اعلى درجات الالتزام بمنهج الفقه ، ومن هذا المنطلق جلس نصير الدين الطوسي في بلاط الوثنيين المغول . وهذا الجلوس لولا هذا الواقع ، لكان من الكبائر التي نهى عنها القرآن بصريح محكمه (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) .

أرأيت كيف يتبدل حكم الركون الحرام الى واجب على مثل نصير الدين الطوسي ليحفظ ما يمكن حفظه من حرم الاسلام بعد ان هدم المغول دولة الاسلام ؟ ومن منطق الواقع وقف جل كبار فقهاء الشيعة الى جانب المشروطة (الحكومة الدستورية) وعلى رأسهم استاذ الفقهاء المعاصرين الشيخ النائيني آنذاك وله بهذا الصدد كتاب بعنوان (تنبيه الأمة وتنزيه الملة)\* حري ببعض السياسيين الاسلاميين قراءته ليكونوا على بينة من الآراء الفقهية وتوظيف ما يناسب الواقع بدلاً من طرح الشعارات الهلامية والجمود على صيغ فكرية محلفة في أفق الخيال . هذا وبالرغم من اختلاف وجهات النظر حول الحكومة الاسلامية بين الاسلاميين انفسهم اجتهاداً أو تقليداً يعلن الجميع انطلاقةً مما مر وغيره انهم لا ينوون اقامة حكومة اسلامية في مرحلة ما بعد صدام ، بل ان الشعب هو الذي يختار شكل الحكم ونوع الادارة التي يرضي ، ومع ذلك نرى ان الفيتو الدولي أعلن على مجمل تحرك المساحة الشيعية في العراق من أقصى اليسار الى أدنى اليمين ، وابتداء بما يسمونه التيار الاسلامي الأصولي وانتهاء بمن يؤمن

بمقولات الغرب ويسعى مخلصاً لتطبيقها وله صلات سياسية وعلاقات تاريخية مع الغرب ، يتمثل هذا الفيتو الدولي بمواقف عملية من شيعة العراق خلال تعامله مع قضية الانتفاضة ، ولعله يريد ان يضرب على وتر قديم نشاز عرف لحنه عموم العراقيين ، وذلك ليخلق تحسناً طائفيًا وقومياً من خلال الاهتمام في الشمال السني الكردي واهمال الجنوب الشيعي العربي مع ان منطق القضية واحد ، ان هذا الاهتمام يفرح الشيعة العرب في الوسط والجنوب كما يفرح الشيعة غير العرب في العراق . إلا أن الوجه الثاني لهذه القضية أعني الاهتمام بالشمال واهمال الجنوب - ذو مدلول سياسي عميق ، وإلا لماذا لا يكون في الجنوب مخيمات محمية داخل الأراضي العراقية بدلاً من أن يموت المئات يومياً من الأطفال والضعاف في طريق العبور الى ايران ؟ ولماذا لم يؤمر الجيش العراقي بالانسحاب من الجنوب بضع كيلومترات كما أمر بالشمال لا يصال الامدادات الطبية والمؤن الغذائية لشيعة الجنوب ؟ ولماذا تسحب القوات الدولية من الجنوب معرضة شيعة الجنوب لخطر الإبادة ؟ ولماذا تطالب اميركا الأمم المتحدة بارسال قوات الى الشمال لحماية الفارين من بطش النظام وتجنبيهم خطر الإبادة ؟

وعلى صعيد التحرك السياسي الشيعي لم يوفق الشيعة حتى الموالي للغرب منهم باقناع الغرب واميركا بايقاف ابادة الشيعة في الوسط والجنوب من خلال تحرك دولي ومن منطق انساني نصت عليه قوانينهم الوضعية . وأياً كانت مخاوف الغرب التي تسوغ مثل هذا الفيتو وتتجاهل ارادة اكثرية سكان العراق وهم الشيعة ، وبغض النظر عن الخلفية التي تنطلق منها تلك المخاوف ، على الغرب ان يعرف ان ثمة نتائج خطيرة مستقبلياً تترتب على هذا الفيتو تهدد مصالح الغرب نفسه وتقوض النظام الأمني لا في المنطقة فحسب ، فالخناق المفروض على شيعة العراق من خلال فيتو الغرب قد يجعلهم يندفعون الى غاية الشوط في التنسيق لا الرسمي فحسب بل الشعبي مع ايران سيما وأن معظم المناطق الحدودية بين العراق وايران مناطق شيعية ، وقد تجد ايران في ذلك فرصة ذهبية للضغط على اميركا وتهديد مصالح الغرب في المنطقة من خلال هذا الاندفاع الشيعي العراقي ، وحينها سيصبح العراق لبناناً ثانياً على الأقل في جنوبه ومناطقه الحدودية مع ايران يقض مضاجع السلطة المركزية التي يفرضها الغرب على العراق وما تجربه لبنان غائبة عن أذهان الغربيين .

قد يفترض الغرب ان ايران عدلت من سياستها تجاه مجمل القضايا السياسية ومنها النظرة الى الغرب والى اميركا بالذات ، إلا أن الغرب واميركا يدركان ايضاً ان هناك خطوطاً متطرفة في ايران ترى ان الثورة الخمينية قد اجهضت وأفرغت من مضامينها الثورية ، وهي تضغط بأشكال مختلفة على الحكومة بما لها من دعم شعبي كبير داخل ايران وخارجه ان لا تموت الثورة ضد (الشیطان الأكبر) الاطلاق المعروف الذي أطلق على اميركا .

أضف الى ذلك ان الشيعة في العراق بمختلف انتماءاتهم الحزبية ومتبنياتهم الفكرية حينها يوصلهم الفيتو الدولي للطريق المسدود ويجعلهم امام مصير واحد ، امام فيتو واحد يصادر حقوقهم ويلغي وجودهم في ما يراد للعراق من حيافة سياسية سيجعل الشيوعي الشيعي ينسب ماركسيته ويقف الى جانب الشيعي الاسلامي في خندق واحد لضرب المصالح الاميركية والغربية أينما وجدت حتى لو لم ترض روسيا أو الصين حينها سيدخل العالم في دوامة جديدة وحينها سيدرك الغرب واميركا أي ثمن فادح يكلفهم هذا الفيتو .

الشيخ الديواني - دمشق عن (البديل الاسلامي)